المشركون في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

م-د. خالد صدام الزبيدي
كلية التربية/جامعة ميسان

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد...

الشرك هو الخضوع لغير الله، وهوأن يجعل العبد لله تعالى شريكا سواء في العبادة أو في الملك أو في الخلق أو في أي معنى من معاني التوحيد، وهو من أعظم المهلكات، وقد وردت فيه آيات عديدة من القرآن الكريم المجيد، قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا))النساء:٤٨، وقوله تعالى : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) المائدة:٧٢، وقوله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))لقمان:١٣، إن اعتبار هذا الذنب من الكبائر أمر بديهي كما قال تعالى :((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا))النساء:٣٦.

ولا شك أن التوحيد نور يوفق الله له من يشاء من عباده، والشرك ظلمات بعضها فوق بعض يُزيَّن للكافرين، وقد بيّن الله عز وجل في خطابه للناس أنه أنزل على محمد (ص) الآيات الواضحات والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس من ظلمات الضلالة والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، قال سبحانه: ((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)).

ويعد التوحيد من أعظم الأصول في دين الإسلام،وهو تحقيق الإخلاص لله تعالى في كل العبادات، والابتعاد والحذر عن كل ما يضاد الإخلاص وينافيه،مع أن هذا يعد من الأمور البديهية عند عامة المسلمين.

بداية لابد من أن نقول في مفتتح هذا البحث أن الإسلام بني على كلمة التوحيد وما تفرزه من توحيد الكلمة، فقد اتفق عليها المسلمون أن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، فإذا كان للتوحيد مراتب فالكل متفقون على أنه لا خالق ولا مدبر ولا معبود إلا إياه، وأنه لا معبود سوى الله سبحانه ولا مستعان غيره، ولأجل ذلك نرى أن المسلمين يقولون في كل يوم وليلة في صلواتهم: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) الفاتحة:٥، ويذكر القرآن الكريم أن التوحيد في العبادة هو الهدف الوحيد من بعث الأنبياء قال تعالى : ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) النحل: ٣٦ ، وقال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) الأنبياء :٢٥ .

مشكلة البحث هو إيضاح بعض المفاهيم والأمور، التي تتعلق بصفات المشركين والمتفرعة على إنكارهم التوحيد، وأباطيل أقوالهم كاستكبارهم على الله واستهزائهم بآياته وإنكارهم الحشر وبيان بطلانها وإظهار فسادها وتهديدهم بإتيانالأمر وحلول العذاب الدنيوي والإيعاد بعذاب يوم الموت ويوم القيامة، ودراسة أعمال الكفار من أقوالهم وأعمالهم الناشئة عن عدم إيمانهم بالله سبحانه،وإنما ذكر عدم إيمانهم بالآخرة ولم يذكر عدم إيمانهم بالله وحده؛ لأن الذي أقيمت عليه الحجة هو التوحيد الكامل وهو وجوب الاعتقاد بالله عليم قدير خلق كل شيء وأتم النعمة لا لغوا باطلا بل بالحق ليرجعوا إليه فيحاسبهم على ما عملوا ويجازيهم بما اكتسبوا مما عهده إليهم من الأمر والنهي بواسطة الرسل . فالتوحيد المندوب إليه في

الآيات الماضية هو القول بوحدانيته تعالى والايمان بما اتى به رسل الله والايمان بيوم الحساب والجزاء ولذلك وصف الكفار بعدم الايمان بالآخرة لان الايمان بها يستلزم الايمان بالوحدانية والرسالة .

وكانت خطة البحث من تمهيد:تعرضت فيه بتعريف الشرك لغة واصطلاحاً، أما المبحث الأول: فقام على دراسة الرسالة السماوية والتوحيد ، وأدلة التوحيد، ثم أن القرآن الكريم رسالة وتوحيد، وتناولت في المبحث الثاني:الشُرك لوثة عقلية، وأنواع الشُرك ،وأسباب الشُرك ودواعيه ،الشرك وعلاقته ببعض المفاهيم والمصطلحات، المبحث الثالث:موقف المشركين من الإسلام، موقف المشركين من الصحابة،وسائل المشركين في حرب التوحيد وأهله،مظاهر الشرك، ثم الخاتمة والنتائج، فالهوامش والمصادروالمراجع.

التمهيد:

الشرك لغة واصطلاحاً

جاءت كلمة الشرك في معاجم اللغة العربية بعدة معان منها المخالطة تقول: شركت فلاناً في ميراث إذا خالطته، وتأتي بمعنى النصيب كما في قوله تعالى : ((أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ))[١]، وتأتي بمعنى المشاركة نحو قوله جلَّ وعلا: ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ))[٢]، ويأتي بمعنى الاختلاطوالالتباس[٣]، ومن مجموع ما ورّد في كتب اللغة يتضح لنا المعنى العام للكلمة وهو المشاركة والمخالطة .

أما الشرك اصطلاحافقد عرفه العلماء بتعاريف كثيرة نذكر منها: جاء في شرح العقيدة الطحاوية (الشرك هو أن يجعل الأنسان لله نداً شريكاً في ألوهيته وربوبيته وهو الذي خلقه وصوره وأوجده فمن أسند حق التدبير والخلق والرزق إلى غير الله فقد أشرك ومن توجه إلى غير الله بالعبادة فقد أشرك) [٤].

وعرفه الشيخ محمد رشيد رضا في المنار : (الشرك هو اتخاذأولياء من دون الله يعتقد فيهم السلطة الغيبية ويدعون من دون الله ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ويتقرب بهم إلى الله زلفى))[٥] .

والخلاصة هو أن الشرك أن تجعل مع الله معبوداً سواء كان هذا المعبود وثناً أم صنماً كما يفعل المشركون قديماً أو يكون بشراً أو حيواناً أو سلطاناً أو مالاً أو ناراً فكل هؤلاء معبودون من دون الله والتوحيد الخالص هو ألا تجعل مع الله ألهاً آخر .

المبحث الأول:

الرسالة السماوية والتوحيد

أدلة التوحيد

القرآن الكريم رسالة وتوحيد

الرسالة السماوية والتوحيد:

ما أرسل الله من رسول أو نبي إلا دعا قومه إلى رسالة التوحيد ونبذ الشرك والوثنية، فالأنبياء جميعاً دعاة للتوحيد ودعاة إلى الله الواحد الأحد سبحانه عما يصفه المشركون، فكل الكتب السماوية والرسالات الدينية جاءت بفكرة التوحيد ومحاربة الشرك والمشركين، وبالإمكان الالتفات إلى فكرة التوحيد المعطاة من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، فكل هذه الكتب المقدسة تعطي وتؤكد التوحيد وتنفي الشريك عن الله تبارك وتعالى، ولكن نجد في هذه الكتب الثلاثة بعض الاختلاف وإن كان الجوهر واحداً فالتوحيد في الكتاب الأول " التوراة " يقوم على أساس أعطاء إله واحد وهذا ألآله لا يستطيع هذا الكتاب أن ينزع عنه الطابع القومي المحدود[٦]، فيشد هذا ألآله جماعة معينة إلى شعب معين هذا الشعب المعين الذي قدُر أن تنزل عليه الرسالة أن يكون التبني منه فكانت التوراة باستمرار تقدم ألآله في أطار قومي كأنه إله هؤلاء في مقابل الأصنام والأوثان التي هي آلهة الشعوب والقبائل، فلم تقل التوراة بشكل صريح عميق لهؤلاء إن هناك إلهاً واحداً للجميع وأن هذه الأصنام والأوثان يجب أن ترفضها البشرية، وإنما عوضت هؤلاء

بالخصوص عن صنم ووثن معين بإله يعبدونه بدلاً عن هذا الصنم هذا الشيء الذي يوجد في نفوس هؤلاء القوم تاريخياً الشعور بالاعتزاز والزهو والخيلاء على بقية الشعوب الأخرى، وهذا الشعور الذي لم يوجد في شعوب متأخرة نزلت فيها نبوات التوحيد على أساس إن الإله الذي أعطي إليهم كان إلهاً شوباً بشيء من المحدودية فخيل إليهم بمرور الزمن أنهم يحتكرون الله لأنفسهم بينما الشعوب والقبائل الأخرى هي ذات إلهة شتى وأصنام شتى[٧].

ويشير القرآن الكريم إلى فكرة الاحتكار التي كان يعتقدها اليهود بالنسبة إلى الله تعالى بقوله: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ))[٨]، رغم هذه الأوشاب في العقيدة اليهودية إلا أن التوراة الحقيقية غيرالمحرفة تؤمن بفكرة التوحيد أيماناً مجرداً وكانت مواجهة سيدنا موسى (ع) الفرعون مواجهة عقائدية لإثبات فكرة التوحيد .

أما فكرة التوحيد في الكتاب الثاني "الأنجيل" فقد صعدت فكرة الله مرتبة وذلك؛ لأن الطابع القومي أنتزع عن هذه الفكرة أصبح الآلة المقدم من قبل تلامذة المسيح للعالم إلهاً عالمياً لا فرق فيه بين شعب وآخر، هو إله العالم على الإطلاق لم يغادر منطقة قريبة من ذهن الإنسان المحسوس، لم يجرد تجريداً كاملاً عن عالم الحس وبقي على صلة وثيقة جداً بالإنسان الحسي كأنه أبوه بهذا يعبر في الأناجيل كثيراً عن الإنسان بأنه أبن الله .

المسيحية الرسمية تبشر هذا الإنسان بعيسى بن مريم وأن عيسى أبن مريم هو أبن الله ((وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ))[٩] .

رغم ما جاء في المسيحية من عقيدة التثليث ونبوة عيسى لله فأن سيدنا عيسى (عليه السلام) جاء بفكرة التوحيد ونادى بها ودافع عنها وعلم تلامذته دروساً إلهية ربانية في علم التوحيد وصفات الله تعالى التي تنزهه وتقدسه .

أما التوحيد في "القرآن الكريم" الكتاب الثالث فأنه يعطي فكرة التوحيد بأنصع وأوسع ما يمكن من التنزيه الذي يبقى محتفظاً بقدرته على تحريك الإنسان لأنه يجرد هذه الفكرة عن طابع الأبوة والعلائق المادية مع الإنسان على الإطلاق ويجرد الله عن أي علائق مادية مع أي إنسان حتى مع أشرف خلق الله محمد بن عبد الله (ﷺ) فأنه يقف في لغة القرآن بين يدي الله عبداً ذليلاً خاضعاً يتلقى الأوامر وليس له الأ الطاعة وأن ينفذ حرفياً قال تعالى: ((قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ))[١٠] ، وقوله تعالى: ((قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي))[١١]، مثل هذه فكرة التوحيد مع الحفاظ على فاعلية الفكرة وعلى محركتها [١٢].

هذا الخط خط وعي التوحيد وفكرة التوحيد، هو أول الخطوط التي تتغير مواقف النبوات بموجبها، وهذا هو التوحيد الخالص الذي يجعل من الشرك خرافة ولوثة عقلية وخللاً في فكر الإنسان المشرك، وقد وضع العلامة سيد مير علي الهندي في كتابه الشهير"روحالأسلام " والمبادئ الأساسية التي أنشئ النظام الإسلامي على أساسها هي :

١- الايمان بالوحدانية ولا مادية الخالق وقدرته ورحمته وحبه الشامل والحق إن المفاهيم الرفيعة النبيلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم فيما يتعلق بقدرة الخالق ولطفه وأنعامه لخلقه تفوق أية مفاهيم أخرى من نوعها وردت في أية لغة أخرى [١٣].

فوحدانية الله ولا ماديته وجلاله ورحمته تشكل الموضوع الثابت في كل الرسالات السماوية التي بشر بها الأنبياء والمرسلون جميعاً، وعندما جاء الإسلام مبشراً برسالته واجه طاغوت الشرك بالوثنية والديانات المحرفة كاليهودية والمسيحية التي شوهت فكرة التوحيد بالتثليث والنبوة وما إلى ذلك من شرك طرأ على الديانات فكانت فكرة الربوبية تختلف بين العرب الأقوياء وفقاً لثقافة الفرد أو القبيلة فهي ترتقي عند بعضهم إلى درجة الإلوهية أو تأليه الطبيعة بينما هي عند بعضهم الآخر تنحدر إلى مجرد عبادة الأوثان أو تقديس

قطعة من العجين أو عصا أو حجر [١٤]. كان بعضهم يؤمن بالحياة الأخرى أما البعض الآخر فليست لديهم أية فكرة عنها من أي نوع كان .

جاء السلام فنادى بالتوحيد ومحاربة الشرك وأعتبر الشرك لوثة عقلية وتخلفاً إنسانياً لأنه يبعد الإنسان عن فطرته التي فطرها الله تعالى على التوحيد وعباد الله تعالى، وهذا النداء هو نفسه الذي وجهه سيدنا موسى(عليه السلام)، وعيسى (عليه السلام)، إلى أممهم الضالة المشركة، ونادوا بالتوحيد الخالص وحاربوا الوثنية حرباً لا هوادة بها وأثبتوا بكل ما يملكون من طاقة فكرية وعقلية وحدانية الله التي هي محور جميع الديانات، فاليهود مثلاً عندما جاءهم سيدنا موسى(عليه السلام) بالتوحيد حافظوا بعض الشيء على فكرة التوحيد لكنهم بعدئذ شوهوا مقداراً من تلك الفكرة ومسخوها مسخاً، قال تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[١٥] ، وكان اليهود يقدسون الأحبار والرهبان والكهنة فانحرفوا عن فكرة التوحيد الصحيحة، قال تعالى: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [١٦]، وقد كانت تعاليم المسيح (عليه السلام) حرية بأن ترقى إلى مفهوم أشدُ نقاءً وأعظم مجداً غير أن قروناً ستة قد مضت على عيسى(عليه السلام) ظلت تلفه هذه الخزعبلات والسخافات التي تتعارض مع رسالته التوحيدية ؟ فأضفت عليه صفة الإلوهية ومن هنا تدخل الشرك إلى عقيدة المسيحيين . فلم يحافظ المسيحيون على فكرة التوحيد بل مسخوها مسخاً كما مسخها اليهود ومن مثلهم.

أدلة التوحيد: (الادلة النقلية ، الادلة العقلية)

أقام الفلاسفة المسلمون وعلماء الكلام أدلة كثيرة على وحدانية الله تعالى، نحاول في هذا المبحث أن نقف على أهمها ،فقد ذهب أهل السنة والمعتزلة على السواء بأن الدليل على وحدانية الله تعالى هو ((دليل التمانع)) المستمد من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا))[١٧] ، وقال أيضا: ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)) [١٨]، وقال تعالى: ((قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا))[١٩] ، وقوله تعالى: ((أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ))[٢٠].

وخلاصة دليل التمانع الذي أقامه المسلمون دليلاً على التوحيد أي هو أنه لو فرضنا وجود إلهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات ثم يمكن أن نفترض أيضاً إن احدهما أراد حركة شخص ما والآخر أراد سكون ومحال أن يقع المرادان لإستحالة الجمع بين الضدين ولو وقع مراد أحدهما دون الآخر كان الذي وقع مراده هو الإله القادر بينما الذي لم يقع مراده يكون عاجزاً والعجز نقص وهو على الله تعالى محال [٢١] .

وهناك دليل آخر على التوحيد ويستعان في هذا الدليل بالتمييز بين فكرتي الممكن والواجب لأرسطو طالي، ومنطوق الدليل يقول لو فرضنا موجدين واجبي الوجود لذاتيهما فلا بُد أن يشتركا في الوجود ولا بد أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بنفسه وما به المشاركة غير مابهالمحايزة وعلى ذلك يكون كل واحد منهما مركباً مما به يشارك الآخر ومما به يمتاز عنه وكل مرُكب فهو مفتقر إلى كل جزء من أجزائه وكل ما كان مفتقراً إلى غيره حتى ولو كان هذا الغير جزءاً من أجزائه فهو ممكن لذاته فواجب الوجود لذاته هذا خلق فأذن واجب الوجود ليس إلا الواحد القهار وكل ما عداه فهو ممكن مفتقر إليه وكل مفتقر في وجوده إلى الغير فهو محدُث، فكل ما سوى الله فهو محدُث [٢٢] .

وفي التوحيد يقول الرازي : (إن الشركة عيب ونقص في الشاهد والفردانية والتوحيد صفة الكمال ونرى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المختصر أشد الكراهية ونرى أنه كلما كان الملك أعظم كانت النضرة من الشركة أشد فما ظنك بملك الله عز وجل وملكوته فلو أراد أحدهما استخلاص الملك لنفسه

فأن قُدِرَ عليه كان المغلوب فقيراً عاجزاً فلا يكون إلها وإن لم يقدر عليه كان في أشد الغمّ والكراهية فلا يكون إلهاً)[٢٣] ، ونجد شبهاً لهذا الدليل على التوحيد عند شيخ أهل السُنه والجماعه في بلاد ما وراء النهر للماتريدي فتقرأ في كتاب التوحيد (مع ما كان الأمر المعتاد بين الملوك بذل الوسع منهم في قهر أشكالهم ليكون الملك للقاهر ومنع كل منهم في غيره عن أنفاذ حكمه وأظهار سلطانه ما أستطاع فأذا لم يكن بل نفذ سلطانه العزيز الحكيم ثبت إنه الواحد القهار)[٢٤]، والأدلة على التوحيد كثيرة وفي كل شيء آية على إن الله هو الواحد الأحد سبحانه عما يشركون . ويقسم القرآن التوحيد إلى توحيد أبوبية وتوحيد ألوهية.

القرآن الكريم رسالة وتوحيد:

توصل الإنسان إلى الأيمان بالله منذ أبعد الأزمان وعبده وأخلص له وأحسَّ بارتباط عميق به قبل أن يصل إلى أي مرحلة من التجريد الفكري الفلسفي أو الفهم المكتمل لأساليب الاستدلال[٢٥].

وبرغم إن وجود الله أوضح من أن يبرهن عليه فقد وجد في كل الأزمنة قلةٌ نادرة من المنحرفين مجدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا إن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابداً [٢٦]، والقرآن الكريم لا يؤكد على قضية إثبات وجود الخالق لأن هذه قضية مفروغٌ منها لا ينكرها إلا الموكوسون المنتكسون الملوثون عقلياً ولكن القرآن يجعل من أهدافه الكبرى أثبات التوحيد والإسلام هو دين التوحيد والله سبحانه واحد لا شريك له ويستدل القرآن بالمشاهدة الصادقة، قال تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا))، هذه المشاهدة العادية تلبس صورة منطقية رائعة فلو كان هناك آلهة غير الله لذهب كل إله بما خلق ولعّلا بعضهم على بعض ، على إن القرآن لا يكتفي بالمشاهدة والمنطق وإنما يرجع بالأنسان إلى وجدانه ويثبت الوحدة عن طريق النظام والعناية والتدبير [٢٧] ، فيقول سبحانه وتعالى: ((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ۞ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))[٢٨]وقال تعالى: ((أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ *أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ))[٢٩] .

فالتوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها ولم يكن وليد مخاوف وشعور بالرعب اتجاه كوارث الطبيعة وسلوكها المضاد كما يزعم بعض الجهال بل هو أمرٌ مركون في فطرة الإنسان . والقرآن الكريم حمل رسالة التوحيد بشكله المنطقي المجرد بعيداً عن الفلسفات والاعتقادات الفاسدة التي جاءت من عقل الإنسان القاصر.

فرسالة التوحيد في القرآن ناصعة واضحة لا تقيد بها ولا تفلسف وإنما هي نابعة من الوجدان النفسي والعقل السليم (والإسلام يقول بوجود الآله الواحد ويدعو إلى الاعتقاد به إلهاً واحداً لا شريك له خلق الكون وفطر السموات والأرض)[٣٠]، فالتوحيد أمر ضروري عالجه القرآن بصورة بسيطة ومنطقية قال تعالى: ((قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۞ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا))[٣١] ، قال ابن عباس (ﷺ) (لوكان مع الله آلهة أخرى لطلبوا الآلهة الشركاء مع الله منازعه وقتالاً كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض تنزه الله تعالى عما يقولون ويفترونه ويشركون به[٣٢].

قال تعالى :((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) [٣٣]، فتفسير ذلك أن قوله تعالى (تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته) [٣٤]. كما يقول الشاعر :

وفي كل شيء له آية تدلُ على إنه واحدُ

وهو ما تبنى به كل ذرة في هذا الكون الكبير وتنتفض به روحاً حية تسبح الله، وإذا الكون كله حركة وحياة وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة سجية رضيه ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد المتعال وحين تشق الروح وتصفو فتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح ويتوجه بالتسبيح فأنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون الذين تحول صفات الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود النابض في كل متحرك وساكن في كل شيء في هذا الوجود [٣٥].

وهكذا كانت رسالة التوحيد في القرآن المجيد كانت مواجهة مستمرة ضد الشرك والمشركين ((وَإِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ))[٣٦] تلك هي كلمة التوحيد الخالدة التي دافع عنها الأنبياء والرسل والأولياء وانتصرت هذه الكلمة على مر التاريخ وتبقى منتصرة بأذن الله تعالى .

المبحث الثاني:

مقدمة

أنواع الشُرك

أسباب الشُرك ودواعيه

الشرك وعلاقته ببعض المفاهيم والمصطلحات

مقدمة

مما لا شك فيه إن الشرك حالة شاذة مخالفة للقوانين الفطرية التي تحكم الإنسان .. فالأيمان بالله تعالى والأيمان بتوحيده أمر فطري ضروري قال تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) [٣٧]، ففي هذه الآية لم تجعل مسألة معرفة الله تعالى والأيمان به فقط أمراً فطرياً بل وصف الدين بأصوله بكونه فطرياً جبليا، فالجبلة الإنسانية محكومة بالأيمان بالله، وقد أخذ الله عليهم في عالم الذر الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ((ألست بربكم قالوا بلى شهدنا))، فالإنسان في عالم الذّر أعطى الميثاق لله بالتوحيد قال تعالى ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))[٣٨] ، والشرك عندما طرأ على البشرية كان بمثابة أداء عضال ولوثة عقلية أصابت العقل البشري فصرفته عن الخالق العظيم سبحانه وتعالى كان الإنسان من آدم إلى نوح على الفطرة السليمة حوالي عشرة قرون بقي الإنسان على التوحيد إلى عبادة الأسلاف والأجداد والأولياء واتخذت لهم رموزاً من الحجر والخشب وجاءت عبادة الأوثان والأصنام عن طريق التقليد الأعمى والجهل المطبق وأتباع الهوى والظن وعبادة الشهوات، فعندما تلوثت عقول البشر بالوثنية أرسل الله الأنبياء والرسل لإعادة الناس إلى الفطرة السليمة والتوحيد وكان الناس أمة واحدة فاختلفوا وعبدوا الأصنام وكانت الأديان مواجهة مستمرة للشرك والوثنية فالأديان هي طب الشرك وهي الكفيلة بالقضاء على لوثة المشركين وقد واجهة دعوة التوحيد مواجهة عنيفة وشاملة لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

رسالة التوحيد هي المنتصرة دائماً وهي المتفوقة على مر الدهور والعصور وما نراه أحياناً خفوت جذوة الأيمان لا يعني أنها انطفأت ولكن تخفت لتزداد قوة بعد كون وحيوية وهدوءاً بعدا وانطلاقها بعد خمود . فالشرك عقيدة مهلهلة لا تصمد أمام النقد العلمي ولا أمام المنطق الإنساني لأنها تجعل من دون الله إلهاً وقد أثبتنا بدليل التمانع إن الشرك حالة غير منطقية وغير علمية .

فالشرك خلل في العقل وخمود في الفكر وجمود مع المادة وعدم انطلاق إلى عالم أفسح وأوسع من الجدران فالأيمان بالله والأيمان بتوحيده نور وشفافية وإشراق واتصال بالذي صدر من الكون والشرك لوثة

عقلية وظلمة فكرية لا نور فيها ولا تستند على حق ولا يقين وإنما تصورات جاهلية عقيمه خالية من الدليل والمنطق ولا يفلح المشركون بما كسبت عقولهم من خرافات وأساطير كما يتصف بها مشركون العرب والجاهليات جميعاً .

أنواع الشُرك:

الشرك بالله أنواع منه مختص بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وشرك آخر يتعلق بتصرفات وأفعال الإنسان تؤدي به إلى الشرك قطعاً والله تعالى يغفر الذنوب جميعاً ألا أن يشرك به وجاء في القرآن الكريم ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ))[٣٩] .

أولاً : فمن الشرك بالله تعالى نفي الصفات الإلهية عنه تعالى وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها [٤٠]، وقد ذكر الله هؤلاء في كتابه المجيد بقوله تعالى: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ))[٤١] .

هذا القول لمشركي العرب الذين ينكرون الرسالات السماوية وينكرون يوم البعث ويزعمون إن الدهر هو الذي أوجدهم وهو الذي يفنيهم ولا قصد و هدف في هذا الكون ومن هذا النوع من الشرك شرك الطاغية فرعون عندما قال تعالى: ((أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى))[٤٢] وقال تعالى على لسان فرعون: ((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي))[٤٣] .

ثانياً : ومن أنواع الشرك إنك تتلقى تربيتك وتوجيهك من غير الله وهذا قطعاً هو الشرك بعينه لأنك أشركت مع الله رباً آخر والله هو الرب لا رب سواه وهو السيد المطاع [٤٤] ، والربوبية تعني (إن الرب سبحان هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد بذلك كله لغيره فقد أشرك بربوبيته)[٤٥] .

ثالثاً : ومن الشرك شرك الوثنية وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهذه النظرية قامت عليها ديانات المجوسية والمزدكية والمانوية وغيرها من الديانات المنحرفة ((وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ))[٤٦] .

رابعاً : ومن الشرك شرك الماديين الملاحدة الذين يقولون بقدم العالم وماديته وأبديته المؤمنون بمقولة (المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم) ، وهذه أسطورة ليست علمية أثبت العلم الحديث خللها وعطبها [٤٧] .

خامساً : ومن أنواع الشرك شرك أهل الكتاب الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة كالنصارى واليهود الذين قالوا عزير ابن الله وقال الله عنهم ((يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ))[٤٨] .

سادساً : نوع من الشرك شائع بين الأمم وهو شرك الإلوهيه وهؤلاء يؤمنون بأن الله هو الخالق سبحانه ((ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)) فقد أقروا بربوبيته ولكنهم أشركوا بألوهيته[٤٩].

سابعاً : وهناك نوع آخر هو شرك المحبة ويحبونهم كحب الله وقوله تعالى ((وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا))[٥٠].

ثامناً : وشرك الحاكمية هؤلاء المشركون الذين يرفضون حكم الله ويستعينون بحكم الجاهلية ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ))[٥١] . وقوله تعالى ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ))[٥٢] ، فالقلب لا يعرف معبودين ولا محبوبين في آن واحد ((مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ))[٥٣]، فالرسول (ﷺ) يوجه المسلمين إلى محبة الله الحقة فيقول (ﷺ): (تعس عبد الدرهم،

تعس عبد القطيفه، تعس عبد الخميصه تعس وأنتكس)[٥٤] ، وجاء في مدارج السالكين فأخبر تعالى (فأخبر تعالى إن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو من أتخذ من دون الله أندادا ً ويكون حينئذ نداً لله في المحبة لا في الخلق والربوبية فأن أحداً من أهل الأرض لم يثبت لله الند في الربوبية بخلاف ند المحبة فأن أكثر اهل الأرض قد اتخذوا من دون الله اندادا ً في الحب والتعظيم)[٥٥] .

تاسعاً : وهناك شرك الشفاعة وهو باطل قال تعالى: ((أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ))[٥٦] .

عاشراً : وهناك شرك شنيع وهو اتخاذ رجال الدين والرهبان والأحبار والعلماء والأولياء القراء أرباباً من دون الله فتكون فتاوى هؤلاء وأقوالهم وسلوكهم طريقاً ومنهجاً للناس ويتركون كتاب الله ومنهجه تعالى اعتماداً على أقوال الرجال وهذا الشرك موجود في كل الأمم حتى سرى إلى الأمة الإسلامية حيث اتخذت بعض الطوائف من رجال الدين أصناماً تُقدس والعياذ بالله . ويقول الطبري في تفسيره العظيم لهذه الآية من قوله تعالى: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ))[٥٧]، أطاعوهم في الحلال والحرام وقدموا تشريعهم على حكم الله تعالى فكانوا أرباباً من دون الله[٥٨] .

حادي عشر : وهناك أنواع أخرى من الشرك منها الرياء وهو العمل لغير وجه الله تعالى وهو الشرك الخفي روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : (يا أيها الناس إتقوا هذا الشرك فأنه أخفى من دبيب النمل)[٥٩] . والحلف بغير الله شرك حتى قولك وأبيك . والنذر لغير الله شرك ، والاستعانة بغير الله شرك والتوكل على غير الله شرك ، وطلب الرزق من غير الله شرك . ومن شرك الألفاظ تداول عبارات تنبئعن رائحة الشرك كقولنا: ما شاء الله وشئت أوهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ومالي ألا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا وكذا . وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قاله وقصده [٦٠] ، وعن ابن عباس (رضي الله عنه) إن رجلاً قال للنبي (ﷺ) :(ما شاء الله وشئت فقال (ﷺ) : أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده) .

أسباب الشُرك ودواعيه:

كان سيدنا آدم (عليه السلام) أول الموحدين المؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وهادياً ومرشداً فكان آدم كما يقول محمد عبد الله دراز :(فكان أبو البشر هو أول الأفذاذ الملهمين وأول المؤمنين الموحدين وأول المتضرعين الأوليين)[٦١]، والشرك لم يكن معروفاً حتى مجيء قوم نوح (عليه السلام) حيث غلوا في الصالحين ممن مات من قومهم فاتخذوهم رموزاً وعبدوهم من دون الله وأشهرهم : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ونسرا . ودليل ذلك ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام)[٦٢]، فأول ظهور للشرك كان في عهد ما قبل نوح (عليه السلام) وحينئذ ظهر أناس يعظمون أناساً من جنسهم كتعلق تلك الأقوام بما ذكر هذا أولاً وثانياً وأظهر من بعضهم في تعظيم الأنبياء لأبائهم وتفخيم هذا التعظيم إلى التقديس فقد ورد أنهم كانوا قوماً صالحين عاشوا بين عهد آدم ونوح (عليه السلام) فنشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس إن الذين كانوا من قبلكم يعبدوهم فعبدوهم [٦٣] .

ويمكن توضيح أسباب الشرك كما يأتي :

أولاً : أن التزام منهج الآباء والأجداد وعبادة الماضي والأسلاف سبب في بقاء الناس على شركهم وضلالهم لأنهم قوم لا يفقهون ولا يعلمون ، فهم كما يقول سيد قطب :(فهمُ مقلدون لا يفكرون ولا يتدبرون بل يطيرون معجلين يقتفون خطى آبائهم الضالين غير ناظرين ولا متعقلين فهم لا يستندون إلى دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع[٦٤].

ثانياً : ومن أسباب الشرك الجهل والعمى فنرى ابن تيميه يجعل الجهل أساس كل خطيئة وسيئة، وبما أن الشرك أكبر الخطايا فالشرك أساس الجهل إما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم، فأن أحداً لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه أو لميل نفسه لها. فهذا سيدنا موسى (عليه السلام) يوم إن اتهمه

قومه بالأستهزاء استعاذ من الجهل وقال تعالى:((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ))[٦٥] .

ثالثاً : ومن أسباب الشرك اتباع الهوى ومشتهيات النفس، قال تعالى: ((إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ))[٦٦]، وقال أيضا:((أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))[٦٧]، فهوى الأنسان يكون أحياناً ألهاً يعبد من دون الله قال تعالى: ((وأتبع هواه)) أي شهوته [٦٨] .

رابعاً : ومن أسباب الشرك إضلال إبليس للإنسان إن أول من انتهج منهج الإضلال للبشرية هو إبليس لعنه الله فهو أول من سن سنة التضليل في بني آدم ابتداء من أبيهم (عليه السلام) قال تعالى: ((فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ))[٦٩] .

خامساً : وهناك شياطين الأنس فهم أيضاً يقومون بإضلال الناس وأبعادهم عن ربهم ودينهم وأتباع الظن كأتباع الهوى هو طريق إلى الشرك، قال تعالى: ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ))[٧٠] ، وقال أيضاً ((وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا))[٧١] .

سادساً : ومن أسباب الشرك ودواعيه هو الابتداع في الدين وتعظيم الأولياء والصالحين والتبرك بقبور من مات منهم وهناك الغرور والإعجاب بالرأي والغلو والابتداع وهناك أسباب كثيرة للشرك.

الشرك وعلاقته ببعض المفاهيم والمصطلحات:

الذي يتبع القرآن الكريم ويدرسه دراسة واعية يجد إن القرآن الكريم أستخدم بعض المصطلحات التي تفيد معنى الشرك الذي وصفه تعالى بأنه من أعظم الذنوب بل هو أكبر الكبائر وعندما جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) قال: يا رسول الله ما أكبر الكبائر؟ قال الإشراك بالله[٧٢]، وعبّر عنه تعالى: ((يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[٧٣]، ومن الأسماء الدالة على الكفر الطاغوت الذي ذكره الله تعالى ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى))[٧٤]، وقوله تعالى: ((وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا))[٧٥]، فالطاغوت هنا الأصنام بكل أنواعها وأشكالها فالأيمان بالطاغوت شرك محض وخروج عن دائرة الإسلام، وقيل الطاغوت الشيطان وقيل الكاهن وقيل الأصنام غير ذلك [٧٦]، ووردت لفظة الجبت مقترنة بالطاغوت بقوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً))[٧٧]، وقد ذكر ابن الجوزي في تفسيره عدة معان للجبتّ وأقربها هي الأصنام والطواغيت والكهنة ورجال الدين الذين يشوهون تعاليمه وأهدافه[٧٨] .

ومن المصطلحات التي ذكرت في القرآن الكريم ولها علاقة بالشرك (العدل) في قوله تعالى: ((ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ))[٧٩]، ومعنى العدل هنا أنهم يعدلون بالله ويجعلون مع الله إلها يساويه بالعبادة والقصد، والعدل ضد الجور، وهو المساواة يقال عدل الشيء بالشيء إذا سواه به تسويه وهؤلاء الذين يعدلون بالله غيره مشركون قطعاً [٨٠].

ومن المصطلحات الواردة في القرآن الكريم والدالة على الكفر قوله تعالى: ((فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا))[٨١]، والسمي هو الشبيه والمثل [٨٢]، ويأتي السمي بمعنى الشرك في الاسم فقوله تعالى: ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا))، أي: لا أحد ممكن أن يثبت له سميا أي شبيهاً ومثيلاً في أسمية الله فقد نفى أن يسمى أحد باسمه منذ ظهور الشرك مروراً بمختلف العصور والأقوام وإلى أن تقوم الساعة فقد أبطل القرآن الكريم ما جاء به المشركون [٨٣] .

أما لفظ المثل فقد جاء بعدة معانٍ منها المساوي والنظير والشبيه نحو قوله تعالى: ((لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ))[٨٤]، أي حظ الذكر يساوي حظين من الإناث وقد وردت كلمة المثل بالنسبة لله تعالى لغرض

التنزيه قال تعالى: ((وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى))[٨٥]، وقال تعالى ((فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ))[٨٦]، وقال جلَّ ذكره ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))[٨٧] .

المبحث الثالث:

موقف المشركين من الإسلام

موقف المشركين من الصحابة

وسائل المشركين في حرب التوحيد وأهله
مظاهر الشرك

موقف المشركين من الإسلام:

موقف المشركين من الرسول محمد (ﷺ) :

لقد أنكر المشركون رسالة الرسول (ﷺ) وناوءوه وحاربوه وكانوا كثرة كاثرة أول الأمر، غير أنهم أخذوا في التناقص حتى أصبح عددهم قليلاً عند وفاة الرسول (ﷺ)، وفي كلتا الحالتين – في كثرتهم أو قلتهم لم ينقطعوا عن محاربة الرسول (ﷺ)[٨٨] .

إن الدعوة الجديدة حطمت مصالحهم وَسخرت من آلهتهم؛ لأن الإسلام استهدف تغييرات جذرية في حياة المجتمع، ومن الطبيعي أن يقابل بالرفض والنفور والمعارضة أما الذين تضررت مصالحهم بصورة كبيرة فقد حاربوا الإسلام بكل ما أُتوا من قوة [٨٩]. وقد وصفهم الله بقوله عز وجل: ((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا))[٩٠]، هذه الآية نزلت بمشركي مكة الذين آذوا الرسول وحاربوه . وكلما نزل عليهم القرآن الكريم ازدادوا في أذيتهم لرسول الله والذين معهُ [٩١] .

لقد كان موقفهم واضحاً منذ أن صدحَ الرسول (ﷺ) برسالته . وقد تناول القرآن الكريم هذا الموقف المعادي للرسول (ﷺ) في آيات كثيره . خاصة في السور الطوال مثل سورتي (النساء) و (التوبة) . ونتيجة لموقفهم هذا نرى أن القرآن الكريم حذر الرسول (ﷺ) منهم و أوعدهم بالعذاب والثبور ، وخاصة إولئك الذين أخفوا شركهم وتظاهروا بالإسلام فهم أشد خطورة من المشركين الظاهرين للعيان ، لقد وصفهم الله بقوله:((فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[٩٢] . وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[٩٣].

ومن أشد الكفار لرسول الله (ﷺ) هم سادة قريش وكبراؤها الذين تحالفوا مع اليهود . وهم أشد الناس عداوةً للذين آمنوا (وكان هناك يهود كثيرون يقيمون في حصونٍ لهم بالقرب من المدينة كبني قريظة وبني النظير . وقد عاهدهم النبي (ﷺ) على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم . ولكنهم كانوا ينقضون عهده ويظاهرون عليه المشركين كلما جاءوا لقتله وقتاله . فكانوا في أظهار الوفاء بعهده منافقين)[٩٤]، أن اليهود كانوا مع المشركين في حربهم مع الرسول (ﷺ) في أغلب حروبه (ﷺ) مع المشركين . قال تعالى جلَّ وعلا واصفاً هذا التحالف بين المشركين واليهود وموقفهم من الرسالة الأسلامية والرسول الكريم (ﷺ) قال تعالى:((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ))[٩٥] وقد تمثل موقف المشركين من الرسول بعدة صيغ :

أولاً : تكذيبهم له (ص) والسخرية منه ووصفه بالساحر والمجنون [٩٦] .

ثانياً : محاربة أنصاره والتنكيل بهم ليبعدوهم عن الرسول (ﷺ) وعن نصرته [٩٧] .

ثالثا : محاربة الرسول (ﷺ) اقتصادياً واجتماعياً ومحاولة عزله وأنصاره وأهل بيته عن الناس . كما جرى حين حاصروه (ﷺ) في شعاب مكة[٩٨] .

رابعاً : محاربة الرسول (ﷺ) بالسلاح والدخول معه في حروب محاولين القضاء عليه أو أضعافه أو استنزافه (ﷺ) ، فنتج عن هذا الأمر حروب عديدة مثل بدر وأُحد والخندق وغيرها ، كما يروي لنا التأريخ . فالمشركون واليهود من أشد الناس عداوةً للرسول والذين آمنوا.قال تعالى: ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا))[٩٩] ، وعدّهم القرآن – المشركون – كاليهود في عداوتهم وبغضهم للرسول (ﷺ)

خامساً : محاربتهم للرسول (ﷺ) ولرسالته حرباً خفيةً من الداخل من خلال أولئك المشركين الذين أظهروا الأيمان وأبطنوا الكفر والشرك والنفاق .

ونتيجة لمواقفهم العدائية السافرة لله ولرسوله (ﷺ) فقد تبرأ منهم الله ورسوله في نص قرآني صريح حين قال تعالى: ((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ))[١٠٠] ، وقد تبرأ منهم الرسول في سورة الأنعام والتوبة ويونس وهود والشعراء في هذه الآيات المباركات :-

قال تعالى: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ))[١٠١] .

١- قوله تعالى ((وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ))[١٠٢] .

وقوله تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ))[١٠٣].

٢- قال تعالى: ((إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ))[١٠٤]

٣- قال تعالى: ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ))[١٠٥] .

ونتيجة لهذا الموقف من المشركين للرسول (ﷺ) أمر الله نبيه (ﷺ) مخالفة المشركين في سورة آل عمران ((وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[١٠٦]، وعدة سور مثل (سورة البقرة :١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٥ / وسورة آل عمران : ٢٨ ، ١٤٩ ، ١٥٦ / وسورة المائدة : ٥١ / وسورة الأنعام : ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٥٠ / وسورة الأعراف : ٣) .

مما يدلل على توضيح صورة موقف هؤلاء المشركين من الرسول (ﷺ) . ولا زال موقف المشركين يتجدد في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، وكانت الغاية التي يستهدفها المشركون في النبي محمد (ﷺ) أن يرجع عن هذه الدعوة التي يدعوهم إليها والتي تخرجهم عما كانوا عليه من ديانات الآباء والأجداد، لقد كانوا يقيمون معه الحوار على هذا الأساس، ويقولون له فيما حكى القرآن الكريم عنهم [١٠٧] : قوله تعالى :((ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ))[١٠٨] .

موقف المشركين من الصحابة:

لم يقتصر أيذاءُ المشركين على الرسول (ﷺ) فقط وإنما شمل آل بيته وأصحابه وكل من نصره ودخل مع الرسول (ﷺ) في الدين الإسلامي .

ومثلما تفنن المشركون في حيلهم وحربهم للرسول نراهم يتفننون كذلك في إيذائهم لصحبه(ﷺ)، غير إن اللافت للنظر هو أن هؤلاء المشركين ركزوا في تعذيبهم على هؤلاء الضعفاء والمساكين ، فهم لم يتجرؤوا على إيذاء المسلمين الذين كانوا من أسر وقبائل قوية، فالتاريخ يروي لنا إن المشركين لما أرادوا

قتل أبا ذر الغفاري قال أحدهم يا قوم إنه من قبيلة كبيرة، وإني أخشى عليكم منهم ربما قطعوا الطريق على قوافلكم فكفوا عنه وتركوه،وسنقف في هذا المبحث عند أشهر من نالهم الأذى من صحابة رسول الله (ﷺ) ، سنقف عند سمية وياسر (رضي الله عنهم) أول الأمر لما لهذين الشهيدين من منزلة عند الله ورسوله (ﷺ) . إنهما أول شهيدين في الإسلام [١٠٩].

أولاً : عمار بن ياسر وأبوه وأمه (رضي الله عنهم)

إن عمار بن ياسر وأباه وأمه كانوا يعذبون في الله تعالى فمر بهم النبي (ﷺ) فقال : صبراً آل ياسر : صبراً آل ياسر ، فأن موعدكم الجنة [١١٠] .

لما مات أبو ياسر في العذاب، كانوا يلبسونه درعاً من الحديد المحمى في اليوم القائظ يعذبه بحره ، وأعطيت سمية أم عمار لأبي جهل يعذبها، وكانت مولاة لعمه أبي حذيفة بن المغيرة، وهو الذي عهد إليه بتعذيبها، فعذبها أبو جهل تعذيباً شديداً رجاء أن تفتن عن دينها فلم تجبه كان يقول لها : ما آمنت بمحمدٍ إلا إنك عشقته لجماله وكان يؤذيها بالقول مثلما كان يؤذيها بالفعل[١١١] .

ثم طعنها بحربة في وسطها فماتت رحمة الله عليها وعلى زوجها وعلى أبنها. لقد كانت عجوزاً كبيرة وكان بعلها (ياسر) شيخاً كبيراً .

ثانياً : بلال الحبشي

كان بلالٌ عبداً أسواً حبشياً عند أبي سفيان، وحين سمع بدعوة الإسلام كان من المستجيبين لها . حينئذ علم به أبو سفيان ورهطه فما كان منهم إلا أن اجبروه على ترك هذا الدين ، فلم يجبهم إلى ما أرادوا . فأخذوا يعذبونه بأقسى ما يكون العذاب ، فلم يجبهم ، كانوا يجوّعونه ويعطشونه ليلةً ويوماً ثم يطرحونه على ظهره على الرمضاء في وضح النهار في صيفٍ حارٍ ثم يضعون على ظهره صخرةً عظيمة ويقولون له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، غير أنه كان يأبى كل طلباتهم. وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبلٍ ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحدٌ أحد [١١٢] .

ثالثاً : الخباب بن الأرت (رضي الله عنه) :

وكان الخباب مولى من موالي المترفين من قريش . لما سمع بدعوة الرسول الكريم انشرح قلبه للأيمان، فآمن بمحمد ورسالتهِ ، فلم يرضِ إسلامه كبراء قريش وعتاتهم،فأمرو بتعذيبه كما عذبّ الآخرون فكان نصيبه النار والجوع والحديد والعطش . وحكى هو (رضي الله عنه) عن نفسه وقال: لقد رأيتني يوماً وقد أوقدت لي نار وضعوها على ظهري فما أطفأها إلا ودك ظهري ، أي: دهنه [١١٣].

هذه نماذج من التعذيب البدني التي أوقعها المشركون بصحابة رسول الله (ﷺ) . لقد نال عذابهم هؤلاء الصحابة الفقراء ، أما من كانت له عزةٌ أو مالٌ أو قبيلةٌ فلم يجرؤ على النيل منه . لقد أمتنع عليهم من له عصبيةٌ في قومه ومن عزّ على قومه تركوه لهم فمنعوه حمية وأنفة لقرابتهِ منهم .

ولم يكتفِ المشركون بالنيل من صحابة الرسول (ﷺ) فقط وإنما قاموا بالاعتداء على أموالهم وبيوتهم حيث تركوها وهاجروا، ثم قاموا بمتابعتهم للنيل منهم في دار الهجرة لقد سافر عمرو بن العاص ورهطٌ من قريش إلى الحبشة للنيل من المهاجرين إليها و الرجوع بهم إلى مكة لولا عناية الله وفضله حين منعهم من ذلك ورفق لهم قلب ملك الحبشة فعاشوا هناك آمنين حتى أمرهم الرسول بالعودة بعد أن قويت شوكة الإسلام ، وأصبحت قريش عاجزةً عن النيل بالمسلمين مثلما كان يحلو لها في بادئ الأمر . وكانوا بفعلهم هذا يأملون أن يصدوا المسلمين عن دينهم، قال تعالى: ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا))[١١٤] .

ولم يتمكنوا من هذا الأمر أطلاقاً . لقد عجزت كل وسائلهم من النيل من صدور هؤلاء الموحدين وأيمانهم . نالوا من أجساده أما إيمانهم وقلوبهم فهذا ما لم يتمكنوا منه ولو عند مسلم واحد . فإزداد غضب المشركين فقابله المسلمون بزيادة الصبر والايمان والله غالب على أمره ولو كره المشركون .

وسائل المشركين في حرب التوحيد وأهله:

كان للمشركين وسائلهم المتعددة والخاصة في صراعهم من الدين الإسلامي ونبي الرحمة (ﷺ) وقد تمثلت وسائل المشركين في أوجهٍ عدّة، فتارة نراهم يستعينون بالمال وأخرى بالحرب والقتال والسلاح وأخرى ثالثه بالحرب الكلامية والصراع اللفظي ورابعه بالتعذيب البدني والكيد المستمر للمسلمين ، وتصدى لهم الرسول (ﷺ) ومن معه من المؤمنين الصادقين ، وسوف نبدأ بهذه الوسائل بحسب قوتها .

أولاً : الصراع اللفظي :

لقد بدأ الصراع اللفظي بادئ الأمر عندما كذبوا رسول الله (ﷺ) واستنكروا دعوته ، حين كذبوا قول الرسول ودعوة النبوة . فاستبعدوا أن يكون محمد (ﷺ) رسول الله حقاً وهو الراعي ، الاجير [١١٥] ، وكانت السخرية والاستهزاء من الوسائل اللفظية والوسائل المعنوية التي استثمرت في كل من مكة والمدينة وقص لنا القرآن الكريم القصص وصّور لنا المشاهد لهذا النوع من الصراع [١١٦]، وهذا النوع من الأساليب ضد الرسول (ﷺ) من ذلك قوله تعالى: ((وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا))[١١٧]، وقال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ))[١١٨]، ويقول مشيراً إلى قيل لهم يستهزؤن به فيه على أساس من أساليب البلغاء الأقدمين : ((ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ))[١١٩] . وامتدت سخريتهم به إلى الطقوس الدينية التي كان يقوم بها والأعمال المدينية التي كان يتولاها، إذ كان يؤدي هذه الطقوس في أجواء من السخرية حيث يكون هؤلاء المشركون مستهزئين به وبها، ويفعلون ذلك في تلاوة القرآن ويفعلونه في أقامة الصلاة وفي غيرهما ، وكانوا يقولون للناس إن محمداً (ﷺ) لا يتلو عليهم كلاماً منزلاً من السماء وإنما يتلوا عليهم كلاماً يملي عليه ويكتبه [١٢٠]، وقد حدثنا القرآن الكريم بهذا الأمر، فقال عزّ من قائل: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ))[١٢١]، أنها حرب كلاميه وأسلوبٌ من أساليب الشرك ضد الإسلام، ويحكى المفسرون أن النضر بن الحارث كان يجلس مجلس محمد (ﷺ) يفعل فعله مقلداً أو ساخراً بالنبي (ﷺ) وبالقرآن . وقالوا : إن النضر هذا يختلف إلى أرض فارس ليسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار، وكبار العجم وكان يمر باليهود والنصارى فيسمع منهم التوراة والإنجيل وكان يجلس يحدث الناس موحياً إليهم بأن القرآن الكريم حكى قصصا عن الرسل وأممهم ليست إلا أمثال ما يقص هو عليهم من أخبار ملوك العجم وأنها ليست من وحي الله وليست من أخبار الغيب وإنه يأتي بمثلها [١٢٢]، قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ))[١٢٣] .

واستمرت هذه الأساليب في العهد المدني / ومن الطقوس التي شملتها الصلاة ، فقد كانوا يقلدون فيها محمداً (ﷺ) ويفعلون مثل فعله ويقولون مثل قوله استخفافاً وهزواً[١٢٤]، وقد ردّ عليهم القرآن بقوله تعالى: ((أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ))[١٢٥]، وحتى لا تفعل السخرية فعلها في نفس النبي (ﷺ) وفي أنفس المؤمنين وحتى تبطل هذه الأساليب الخبيثة فقد تكفل الله بالرد عليها، وأخذ القرآن يبصر المؤمنين ويكشف لهم المنافقين ويفضحهم، كما نصح القرآن المسلمين أن لا يخوضوا معهم في الحديث ودعا إلى نبذهم وتركهم، فقال تعالى: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ))[١٢٦]. وأن الله سوف يجمع المنافقين والكافرين غداً في نار جهنم . قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا))[١٢٧]، وخاطب الله نبيه الكريم بقوله: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ))[١٢٨] .

ثانياً التعذيب البدني :

حين لم تنفع الأساليب الأولى في أذية نفس الرسول (ﷺ) ولم تفلح في صرفه وأتباعه عن الدين الجديد اضطروا إلى استخدام إسلوب آخر وهو التعذيب البدني ولولا فضل الله ورحمته لقضى المشركون على الرسول (ﷺ) وصحبه لكنها العناية الإلهية، قال تعالى: ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[١٢٩]. وقوله تعالى(ليثبتوك) أي يشدوك بالوثاق أو الأرهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس ودعوتهم للإسلام . أما القتل فالمكر فيه يكون في طريقة تنفيذه وصفته التي لا يكون ضررها فيهم باعتبارهم قتلة، أما الإخراج فهو النفي من الوطن ويحدثنا المفسرون وكتاب السيرة فيقولون: إن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فأعترضهم شيخٌ جليل . فلما رأوه قالوا: من أنت ؟ قال: شيخٌ من أهل نجد . سمعتُ بما اجتمعتم عليه فأردت أن أحذركم ، ولن يعدمكم منيّ رأي ونصح [١٣٠].

فدخل معهم وقال : أنظروا في شأن هذا الرجل ، فوالله ليوشكن أن يواتيكم في أمركم بأمره . فقال قائل : أحبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة فإنّما هو كأحدهم .

قال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي والله ليخرجنّ رائدٌ من محبسه لأصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه عنكم فما آمن عليكم أن يخرجونكم من بلادكم ، فأنظروا في غير هذا الرأي . فقال قائلٌ : فأخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه فإذا خرج لم يضّركم ما صنع ، وأين وقع، وإذا غابَ عنكم أذاه استرحتم منه ، فأنّه إذا خرج لم يضركم ما صنع وكان أمره في غيركم .

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة في قوله وطلاقة لسانه، وأخذه للقلوب مما سمع من حديثه، والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجمعنّ إليه وليسيرنّ إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله فانظروا رأياً غير هذا، قال أبو جهل : والله لأشيرنّ عليكم برأي لا أرى غيره قالوا : وما هذا ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً وسطاً، شابا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فأذا قتلتموه تفرّق دَمَهُ في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العمل واسترحنا وقطعنا عنا أذاهُ ..... ، فقال الشيخ النجدي: هذا والله هو الرأي ، والقول ما قال الفتى لا أرى غيره . وتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له ، فهبط جبريل (ع) على الرسول (ﷺ) وأمرهُ ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم[١٣١] قوله تعالى: ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[١٣٢]. فهذه الآية واضحة في أن القادة الذين يتولون أمور الإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي معرضون دائماً للأذى ، ومعرضون لنوع كبير من الأذى هو القتل .

يقول صاحب المنار أن المقصود بالآية هم اليهود خاصة من حيث أنهم قد نسبت إليهم قتل زكريا ويحيى .

ويقول أن المراد بالذين يأمرون بالقسط من الناس الحكماء فقال (أي الحكماء الذين يرشدون الناس إلى العدالة العامة في كل شيء ويجعلونها روح الفضائل وقوامها)[١٣٣] .

وقد مر بنا في المبحث الثاني من هذا الفصل كيف أنهم عذبوا ياسر وَ سميه زوجته وبلال وعبد الله بن مسعود وغيرهم كثير من المؤمنين والمؤمنات . لقد عذبوهم بالضرب والكي ، لقد عذب ابو جهل سميه وياسر ، وعَذبّ أميه بن خلف بلالاً الحبشي ليفتنوهم عن دينهم ، هذه نماذج من صور تعذيب المشركين للمؤمنين والمؤمنات ولم يقف أمر المشركين مع المسلمين عند هذا الحد ، وانما تابعوهم في مهجرهم الجديد بإسلوبٍ جديد هو الحرب التي حدثت فيما بين الطرفين[١٣٤]، قال تعالى موضحاً هدف المشركين من هذه

الأساليب: ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا))[١٣٥]. وقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[١٣٦].

ثالثاً : المال :

أدرك المشركون قيمة المال كقوة في صراعهم مع الرسول (ﷺ)، الصراع الفكري والصراع الدموي على حدٍ سواء، فاستثمروا المال طوال العهد المكي مستهدفين من وراء ذلك صد الناس عن سبيل الله . وصرفهم عن هذا الدين الجديد ، لقد استثمروا طيلة العهد المدني حين قاموا بأغراء المسلمين الجدد أو بمنعهم من إقراض المؤمنين الا بربا فاحش ، وأخذوا يبذرون في نفوسهم بذور الشك من حيث أن الله لو أراد للمسلمين النصرَ لأغناهم ووسع عليهم في الرزق [١٣٧]، والذي ساعدَ المشركين على استغلال المال هو أنهم كانوا – معظمهم – من الأغنياء وحافظ هؤلاء على أموالهم وحرصوا على أستخدمها كسلاح جديد في معركتهم ضد الإسلام ، وقال تعالى: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ))[١٣٨] . وتوجه القرآن الكريم إلى محمد (ﷺ) بالحديث مبيناً له النهاية التي ينتهي إليها هؤلاء الذين ينفقون أموالهم في سبيل صد الناس عن هذه الدعوة الجديدة لن تكون إلا الحسرةَ والندامة [١٣٩]، قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ))[١٤٠] .

والذي ساعد أيضاً على نجاح هذه الأساليب في حرب الإسلام والمسلمين هو إن كثيراً من أهل الكتاب الذين ناصروا المشركين كانوا من الأغنياء أيضاً، فوصل بهم الأمر أنهم قالوا إن الله ربَّ محمدٍ فقير وهم الأغنياء ، فقال تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ))[١٤١]، وقال تعالى : ((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ))[١٤٢]. وتمثل حربهم في كنز الأموال وحرمان الناس مما يحق لهم ، ثم محاولة إغوائهم للخروج من الدين الجديد والنيل من الرسول (ﷺ) ، في الوقت الذي نراهم يعاملون فقراء المسلمين بقسوةٍ ووحشية، فقال تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ))[١٤٣]، وقال تعالى واصفاً تحاملهم على أنصار الرسول (ﷺ) : ((هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا))[١٤٤] .

وقد كان الرسول ومن معه من الفقراء إلا ما ندرَ منهم، فما كان من الرسول ألا الهجرة إلى المدينة فسموا بالمهاجرين الذين عاشوا في كنف أخوانهم الأنصار . وكان الأنصار يملكون ما شاء الله لهم من نعمة . ولكنهم ينفقون ما يملكون على المهاجرين ليمكنوهم في المدينة حياة كريمة [١٤٥] . ولمقابلة هذا السلاح الخطر دعا الاسلام إلى ضرورة الانفاق بعضهم على بعض الغني على الفقير . ومن ذلك قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))[١٤٦] ، وقال تعالى أيضاً : ((قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ))[١٤٧] . وغيرها من الآيات المباركات التي أكدت على التكامل والتعاون للقضاء على سلاح المشركين الهادف إلى أستغلال الفقر لصرف المسلمين عن دينهم .

رابعاً : الحرب

كانت الحرب من الوسائل القوية الفعالة في إنهاء الصراع وحسم الموقف ، فهي التي أسكتت بعض الفرق وكشفت لنا عن الغالب والمغلوب ، أو المنتصر والمهزوم من الفرقاء .

وكانت الحرب من الوسائل التي لم يكن هناك مفرٌ من استثمارها عند المشركين أجمعين ، بما فيهم المنافقين ، لم يكن المشركون يتحملون أن الرسول (ﷺ) ومن معه ينجو من ألسنتهم ودسائسهم ومؤامراتهم وحصارهم الاقتصادي ، فما بقي لهم إلا أن يعلنوا الحرب لهم . ومن هنا نراهم ينقضون عهودهم

ويضعونها تحت أقدامهم معلنين حرباً شعواء وطرقوا أبواباً جديدة في حربهم مع الرسول (ﷺ) ، خاصةً بعد أن رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً وجماعات[١٤٨]. فقال تعالى ((وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)) [١٤٩]. وقال تعالى : ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ))[١٥٠] . فأخذ المشركون يخرجون المؤمنين من ديارهم وينهبون أموالهم ويعلنون عليهم الحرب محاولين القضاء عليهم فكان لا بد للرسول (ﷺ) والذين معه أن يقاتلوا في سبيل الله ، فقال تعالى: ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) [١٥١]، ونتج هذا الأسلوب الجديد عدة معارك وغزوات ابتدأت بغزوة (بدر) ثم (أُحد) ثم (الخندق) واستمرت المعارك حتى آخر يوم من حياة الرسول (ﷺ) .

لقد حث القرآن الكريم على مجابهة المشركين والاستعداد لهم، فقال تعالى : ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ)) [١٥٢].

وتحالف اليهود مع المشركين في حربهم ضد الإسلام . وكان في المدينة ثلاث طوائف منهم : وهم بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وكانوا بنوا قينقاع أول من غدر وتصدى للرسول (ﷺ) وإعلان الحرب عليه (ﷺ)[١٥٣].

ونقض بنو النضير العهد، وهموا بقتل النبي ﷺ . ويلفت القرآن الكريم ذهن النبي ﷺ إلى ألوان من الخيانات التي سيلاقيها من اليهود حين يقول له : ((وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ))[١٥٤] ، وجاء في تفسير المنار: (إنك أيها الرسول لا تزال تطلع من هؤلاء اليهود المجاورين لك على خيانة بعد خيانة ما داموا مجاورين أو معاملين لك في الحجاز، ولا تحسبن أنك قد أمنت مكرهم وكيدهم بتأمينك إياهم على أنفسهم فأنهم لا وفاء لهم ولا أمان ، وقد نقضوا عهد الله وميثاقه من قبل ، فكيف يرجى منهم الوفاء لك بعد ذلك النقض وما ترتب عليهم من قساوة قلوبهم وقتلهم الأنبياء)[١٥٥] .

لقد حث الله عباده على الاستعداد والتصدي لحرب المشركين، فقال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ))[١٥٦]. ولكن إذا جنحوا للسلم فأجنح لهم، قال تعالى: ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) [١٥٧]. ولكن إن أرادوا الخديعة أو الغدر فلا سلم معهم ولا سلام[١٥٨].

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)) [١٥٩].

لقد كانت الحرب هي الوسيلة الحتمية عند المشركين لحسم الموقف ، لقد كانت للقضاء على محمد ﷺ وصحبه ، لكنها لم تكن كذلك عند الرسول ﷺ لأنها كانت وسيلة دفاع . إن المسلمين لم يقاتلوا من أجل السيادة والسلطان وسلب الناس حرياتهم وتعذيبهم وسفك دمائهم واستغلال ثرواتهم .

(هذه هي قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد على أن يكره أحداً على الخروج منه، وإنما نكون متمكنين من إقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة إذا كنا أصحاب قوة ومنعة نحمي بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداءً علينا بما هو آمن أن تتعدى بقله عليه ، إذ أمرنا الله أن ندعو إلى ديننا بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار، أي أنه ليس في جوهره ومقاصده ، إنما هو سياج له وجنه ، إنه أمر سياسي لازم له للضرورة)[١٦٠]، وإنما شرع القتال لتأمين الدعوة ولكف شر الكافرين لكيلا يزعزعوا ضعيفهم قبل أن تتمكن الهداية والإيمان من قلبه ولكيلا يقهروا قومهم بفتنه عن دينه كما كانوا يفعلون في مكة جهراً[١٦١]، قال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ))[١٦٢] .

مظاهر الشرك:

للشرك وجوه كثيرة يطلُّ بها على عباد الله ، فيدخل علينا من باب الشعوذة أو السحر أو ما شابه ذلك (ولما فتح باب الشعوذة والإيحاء على مصراعيه أندفع من لا حياء له يّدعي أنه أدرك سر الولاية ..... ولّما رأى أدعياء التصوف كيف أقبل الجهلةُ عليهم لم يزدادوا ألا علواً في تقدير أصول الشرك ، فدعوا إلى التبرك بهم ونصحوا الناس بالالتجاء لهم لقضاء حاجاتهم ، ولو كانت من المنكرات ، فانحرفوا بالناس عن جادة التوحيد الخالصة لله، وأدخلوهم إلى الشرك من حيث يعلمون أو لا يعلمون، أنهم أوجدوا للناس طرقاً

أخرى تنافي طريق الله فأدخلوا الرفض إلى جانب العبادة أو السحر إلى جانب التوحيد .... وأنتشر هذا الأمر في سائر بلاد المسلمين ، بل وجد من يشجع عليه ألا وهو أبليس وأعوانه)[١٦٣] .

لقد وصف لنا الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هذا اللون من ألوان الشرك الذي عاصره في تركيا آنذاك فقال (فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم وأفسدوا كثيراً من الدين)[١٦٤] .

وبذلك ضاق على العلماء الخناق وعم الشرك والبلاء . ومن مظاهر الشرك الأخرى عدم التوكل على الله في الأعمال ، إذ كثيراً ما ينسى الناس ربهم أو يتناسونه و، ويعتمدون على مظاهر بائسة يظنونها من الحضارة والتقدم ، مما تسبب في قلة البركات وانصباب اللعنات على رؤوس الناس فعمت الحروب والمحن وتفشت الأوبئة وانتشرت المجاعات [١٦٥] .

ومن المظاهر الأخرى للشرك ظهور البدع ، وهم استبدلوا شياطين الأمس وتماثيلها التي كان الناس يعبدونها قبل الإسلام بالبدع التي كانوا يظنونها من صميم الإسلام، وما هي كذلك بل زين لهم الشيطان أعمالهم وأبعدهم عن ذكر الله [١٦٦] .

ومن المظاهر أيضاً انتشار الخرافات ، وعلى الرغم من أننا نعيش في قرون العلم والحضارة إلا أن الخرافة وجدت لها سبلاً شتى وطرائق عدداً لا يعلم عددها إلا الله [١٦٧] .

إن الرد على هذه المظاهر جميعاً هو الدعوة إلى التوحيد الخالص لله ونبذ السحر والشعوذة وأصنام القرن العشرين المتمثلة بالخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، لقد ظهر دعاة التوحيد على مر العصور كجمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد رشيد رضا وغيرهم كثير، وهم يدعون إلى عبادةٍ خالصةٍ لله، وإلى التوحيد ونبذ الشرك في مؤلفاتٍ كثيرةٍ من أبرزها تفسير المنار [١٦٨]، هذا على سبيل المثال على الحصر فالدعاة كثيرون ويشهد تاريخ الإسلام بذلك، أن للتوحيد جنداً وأنصاراً ما يزالون يدافعون عنه حتى يومنا هذا لا تأخذهم بالله لومة لائم وهم يبذلون كل غالٍ ونفيس من أجل محاربة الشرك والمشركين في مشارق الأرض ومغاربها . وهم يرون أن سبب انحطاط المسلمين إنما هو بسبب ابتعادهم عن التوحيد الخالص لله الذي أبعدهم عنه هؤلاء المشركين .

الخاتمة

أن هذا الموضوع من اهميته يمكن يحتاجه كل انسان على وجه الارض فالإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يترتب على ذلك، هو سبب فوز الانسان في الدنيا والاخرة.والخوض في موضوع الشرك والمشركين يُعد نوعاً من الجرأة ، فهذا أمرٌ تقف دونه الصعاب وتختلط فيه الأمور ، غير أننا حاولنا جاهدين أن نقف عند صفات المشركين في القرآن الكريم ، فتوصلنا إلى هذه الحقائق :

١- إن القرآن الكريم كان دعوة صادقة واضحة وعرضاً صادقاً للتوحيد وذماً صريح للشرك الذي هو النقيض من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

٢- كان الدين الإسلامي يُعد رسالة التوحيد التي نادى بها أول الأنبياء وآخرهم هي الأساس في العقيدة الإسلامية .

٣- أنَّ أدلة التوحيد التي ساقها الله لعبادةً كانت في منتهى البساطة والسهولة حتى يفهمها ويعيها الناس كافة مهماً كانت مستوياتهم وقد رأتهم العقلية لكي تعمّ المحبة عليهم جمعياً ، ولا يبقى لأحد منهم غدراً .

٤- الشرك الذي هو ضد الفطرة الإلهية يعتبر لوثة عقلية لعدة أسباب منها أنه يخالف ما تعارف الناس عليه ومنها أنّه لا يستند على ما يؤيده ويُقويه .

٥- معاني الشرك اللغوية والاصطلاحية متقاربة لأنها تدل على معنى واحد .

٦- للشرك أنواع كثيرة يظهر بها للناس لأنه من صنع الشيطان . أما التوحيد فإنه ذو وجه واحدٍ وحقيقة واحدة لأنه من الله الحق الواحد الأحد .

٧- أن للشرك أسباباً ودواعي تستحضره ونستدعيه وتتطلب حضوره .

٨- إن المشركين اتخذوا مواقف العداء من رسول الله لأنه يمثل التوحيد وهو العدو اللدود لهم وعنده تحطمت كل آمالهم وأمنياتهم .

٩- وموقفهم من صحابة الرسول (ﷺ) كان كموقفهم من الرسول (ﷺ) نفسه ، لأنهم سائرون على دربه .

١٠- كانت للمشركين وسائلهم التي حاربوا بها الرسول (ﷺ) ورسالته وصحبه ، وكانت أساليبهم متمثلة بالكلام من سب وشتم ومال وحرب اقتصادية وإيذاء وتعذيب بالحديد والنار ثم حرب معلنه مكشوفة سقطت دونها هياكل ورؤوس وسالت أنهارٌ من الدماء .

١١- أما مظاهر الشرك في العصر الحديث فقد تمثلت بالسحر والشعوذة والخرافة والبدع . وهذه كلها مظاهر متنوعة للشرك في عصرنا الحالي .

الهوامش :

(١) - سورة فاطر / ٤٠ .

(٢) - سورة الإسراء / ١١١ .

(٣) - لسان العرب / ١٢ – ٣٣٤ . وأنظر تهذيب اللغة الأزهري / ١٠ / ١١٧ .

(٤) - عبد الكريم زيدان -شرح العقيدة الطحاوية / ص١٣ .

(٥) - تفسير المنار : الشيخ محمد رشيد رضا . دار المنار – القاهرة ، ١٩٧٢م .

(٦) - في ظلال القرآن / سيد قطب / مجلد ٨ ، ج٩ ، ص ٩٨٩ .

(٧) - بحوث ممهدة لدراسة التاريخ / د. محمد عبد الله دراز / دار الأرقم – بيروت – ١٩٧١ / ص ٢٥ .

(٨) - سورة المائدة / ١٨

(٩) - سورة التوبة / ٣٠ .

(١٠) - الزمر / ١١ .

(١١) - الزمر / ١٤ .

(١٢)الرسائل التوحيدية / الشيخ محمد حسين /دار العلم للملايين / ص ١٨ . أنظر : شرح العقائد النسفية / عبد الملك السعدي / بغداد (١٤١٥- ١٩٨١) .

(١٣) - روح الأسلام / سيد مير علي الهندي / ص ١٥٧ .

(١٤) - أنظر : / تلخيص التمهيد / محمد هادي / ج٢ / بيروت – دار الفكر (١٩٨٦) / ط١ / ص ٥٦٤ .

(١٥)-سورة التوبة / ٣٠ .

(١٦)-سورة التوبة / ٣١ .

(١٧) - سورة النبياء / ٢٢ .

(١٨) - سورة المؤمنون / ٩١ .

(١٩) - سورة الإسراء / ٤٢ .

(٢٠) - سورة الرعد / ١٦ .

(٢١) - اللمع في الرد على أهل الزيخ والبدع / تحقيق : الأب مكارثي / بيروت ١٩٥٣ / للأشعري ص٨ .

(٢٢) - التفسير الكبير / للأمام الرازي – ج٦ – ص٩٣ .

(٢٣) - التفسير الكبير / للأمام الرازي – ج٦ – ص٦٤ .

(٢٤) - كتاب التوحيد / للماتريدي / مطبعة الأستقامة ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ورقة ٩ .

(٢٥) - التفكير الفلسفي في الأسلام / الأمام عبد الحليم محمود / دار المعارف بيروت – ١٩٨٤ / ص ٥٠ .

(٢٦) - المنقذ من الضلال / محمد الغزالي / دار الكتب الحديثة – ١٩٨٣ / ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٢٧) - التفكير الفلسفي في الأسلام / ص ٥٣ .

(٢٨) - سورة النمل / ٦١ .

(٢٩) - سورة النمل / ٥٩- ٦٤ .

(٣٠) - أسلام بلا مذهب / د. مصطفى الشكعه / الدار المصرية للطباعة / ص ٣٣ .

(٣١) - الأسراء / ٤٢ -٤٣ .

(٣٢) - تفسير القرآن الكريم / عبد القهار داود عبد الله / مطبعة الرشاد _ بغداد / ص ٣١٥ .

(٣٣) - الإسراء / ٤٤ .

(٣٤) - تفسير القرطبي / ج١٠ / دار الحرية / بغداد ١٩٨١ / ط ٣ /ص٢٦٦. وأنظر : تفسير القرآن الكريم / عبد القهار داود عبد الله / مطبعة الرشاد – بغداد / ص ٣١٦ .

(٣٥) - في ضلال القرآن الكريم / سيد قطب /دار أحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٧/ مجلد ٥/ ص ٣٣٢

(٣٦) - سورة البقرة / ١٦٣ .

(٣٧) - سورة الروم / ٣٠ .

(٣٨) - سورة الأعراف / ١٧٢ – ١٧٤ .

(٣٩) - سورة النساء / ٤٨ .

(٤٠) - الكواشف الجلية في معاني الواسطية / عبد العزيز محمد سلمان / ٧١ .

(٤١) - سورة الجاثية / ٢٤ .

(٤٢) - سورة النازعات / ٢٤ .

(٤٣) - سورة القصص / ٣٨ .

(٤٤) - المصطلحات الأربعة / ابو الاعلى المودودي / ص ٣٢ .

(٤٥) - مجمع فتاوى / ابن تيمية / ج١ – ص٩٢ .

(٤٦) - سورة المؤمنون / ٩١ .

(٤٧) - الجواب الكافي / لأبن قيم الجوزية / ٩٠ .

(٤٨) - سورة التوبة / ٣٠ .

(٤٩) - التفسير الكبير / لأبن تيميه .

(٥٠) - سورة البقرة / ١٦٥ .

(٥١) - سورة المائدة / ٥٠ .

(٥٢) - سورة المائدة / ٤٤ .

(٥٣) - سورة الأحزاب / ٤ .

(٥٤) - أخرجه البخاري / ج ٨ –ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٥٥) - مدارج السالكين / ٣: ٢٠ .

(٥٦) - سورة الزمر / ٤٣ .

(٥٧)-الطبري / ٦ : ١٦١ .

(٥٨) - سورة التوبة / ٣١ .

(٥٩) - أخرجه أحمد في سننه / ٤ : ٤٠٣ .

(٦٠) - مدارج السالكين / ١: ٣٤٤

(٦١) - بحوث ممهدة / محمد دراز / ١٠٣

(٦٢) - تفسير الطبري / ٢٩ : ٦٢ .

(٦٣) - الدر المنثور / السيوطي / ٦ : ٢٦٩ .

(٦٤) - في ظلال القرآن / ج٥ – ص ٢٩١ .

(٦٥) - محاسن التأويل / القاسمي / ١١ – ص٤٢٧٩ .

(٦٦) - سورة البقرة / ٦٧ .

(٦٧) - سورة يوسف / ٥٣ .

(٦٨) - سورة الفرقان / ٤٣ .

(٦٩) - الوجوه والنظائر / ابن الجوزي / ٣٧١ .

(٧٠) - سورة البقرة / ٣٦ .

(٧١) - سورة الأنعام / ١١٦ .

(٧٢) - سورة يونس / ٣٦ .

(٧٣) - رواه البخاري .

(٧٤) - سورة لقمان / ١٣ .

(٧٥) - سورة البقرة / ٢٥٦ .

(٧٦) - سورة الزمر / ١٧ .

(٧٧) - تفسير ابن كثير / ١- ص ٣١١ .

(٧٨) - سورة النساء / ٥١ .

(٧٩) - زاد المسير في علم التفسير / ٢ – ١٠٧ .

(٨٠) - سورة الأنعام / ١ .

(٨١) - القاموس المحيط / الفيروز آبادي / ٤ – ١٣ .

(٨٢) - سورة مريم / ٦٥ .

(٨٣) - تفسير ابن كثير / ١١ / ١٣٠ .

(٨٤) - تفسير القرطبي

(٨٥) - سورة النساء / ١١ .

(٨٦) - سورة النحل / ٦٠ .

(٨٧) - سورة النحل / ٧٤ .

(٨٨) - سورة حم / ١١ .

(٨٩) - ينظر : محمد والقوى المضادة : د. احمد محمد خلف الله ، المكتبة الانكلو مصرية ١٩٧٣ : ١٢١ .

(٩٠) - سورة فاطر / ٤٢ .

(٩١) - ينظر : تفسير الجلالين ، جلال الدين السيوطي ، مطبعة الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ : ج٢ : ١٩٤ .

(٩٢) - سورة المنافقين / ٤ .

(٩٣) - سورة التوبة / ٧٣ .

(٩٤) - محمد والقوى المضاده / ١٢٥ .

(٩٥) - سورة الحشر / ١١ .

(٩٦) - ينظر : سيرة بن هشام ، عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، البابي الحلي ، مصر ، ج٢ : ١٠٤ . وينظر : تاريخ الطبري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠٣ ، ح٣ : ٥١ .

(٩٧) - ينظر : سيرةبن هشام : ج٢ : ١٠٧ .

(٩٨) - ينظر : المصدر السابق .

(٩٩) - سورة المائدة / ٨٢ .

(١٠٠) - سورة التوبة / ١

(١٠١) - سورة الأنعام / ١٩ .

(١٠٢) - سورة يونس / ٤١ .

(١٠٣) - سورة هود / ٣٥ .

(١٠٤) - سورة هود / ٥٤ .

(١٠٥) - سورة الشعراء / ٢١٦ .

(١٠٦) - سورة آل عمران / ٥٤ .

(١٠٧) - ينظر : محمد والقوى المضاده ، ٩١ .

(١٠٨) - سورة يونس / ١٥ .

(١٠٩) - ينظر : تاريخ الطبري ، ج٣ : ٢٥١

(١١٠) - ينظر : تاريخ الطبري ، ج٣ : ٢٦١

(١١١) - ينظر : السيرة النبوية ، إبن هاشم ، ج٣ : ١٣٩

(١١٢)-ينظر : تاريخ الطبري ، ج٣ : ٢٩٦ .وينظر : السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٣ : ٢١١ . وينظر : رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، مطبعة المعرفة ، مصر ١٩٧٩،ج١ : ١١١ . وينظر : بلال الحبشي مؤذن رسول الله ، عبد الله خلف مخلوف ، مطبعة جامعة قطر ، ١٩٨١ ، ٦١ .

(١١٣) - ينظر : رجال حول الرسول ، ج١ : ١٢١ . وينظر : الخباب بن الارت رجل من مدرة رسول الله ، الشيخ محمد سلام الغفار ، مطبعة النهضة ، بغداد ١٩٨٥ : ٨١ .

(١١٤) - سورة البقرة / ٢١٧ .

(١١٥)-ينظر: السيره النبوية ، ابن هشام ، ج٢: ١٧٩ . وينظر : محمد رسول الله ، الشيخ سلمان عبد الملك ، دار الجيل ، مصر ١٩٨٢ : ٨١ . وينظر : محمد والقوى المضادة ، د. محمد احمد خلف الله : ١٨٠ .

(١١٦) ينظر : محمد والقوى المضادة : ١٨١ .

(١١٧) سورة النبياء / ٣٦ .

(١١٨) - سورة سبأ / ٧ .

(١١٩) - سورة الدخان / ١٤ .

(١٢٠) - ينظر : تاريخ الطبري ، الطبري ، ج٣: ٥١ .

(١٢١) - سورة الفرقان / ٤ .

(١٢٢) - ينظر : تفسير القرطبي ، دار الاندلس ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٧ ، ج٥ :٣١ . وينظر : السيره النبوية ، ابن هشام ، ج٢ : ٢٠٧ . وينظر : تاريخ الطبري ، الطبري ، ج٣ : ١٨١ . وينظر : السيرة النبوية : أبن هشام ، ج٢ : ٢٢٦ .

(١٢٣)-سورة لقمان / ٦ .

(١٢٤) - ينظر : محمد والقوى المضادة : ١٨٣ .

(١٢٥)-سورة التوبة / ٦٥ .

(١٢٦) - سورة النساء / ١٤٠ .

(١٢٧) - سورة النساء / ١٤٠ .

(١٢٨) - سورة الحجر / ٩٤ .

(١٢٩)-سورة الانفال / ٣٠ .

(١٣٠) - تفسير القرآن الكريم بن كثير ، مصورة دار المعرفة ، بيروت ، ج٢ : ١١٤ .

(١٣١) - ينظر : السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج١: ١٢٣ . وينظر : حياة المصطفى ، احمد المختار ، مطبعة الكويت٩٧٩ : ٨١

(١٣٢) - سورة الانفال / ٣٠ .

(١٣٣) - تفسير المنار ، محمد رضا ، دار الأندلس بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩ ، ج١ : ٩١ .

(١٣٤) - ينظر : محمد والقوى المضاده : ١٩٢ .

(١٣٥) - سورة البقرة / ٢١٧ .

(١٣٦)-سورة آل عمران / ٢١ .

(١٣٧) - ينظر : محمد والقوى المضاده : ٢٢٧ .

(١٣٨) - سورة الزخرف / ٢٣ .

(١٣٩) - ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مطبعة المعرفة ، بيروت ١٩٧١ ، ج٤ :١٢١ .

(١٤٠) - سورة الانفال / ٣٦ .

(١٤١) - سورة المائدة / ٦٤ .

(١٤٢) - سورة آل عمران / ١٨١ .

(١٤٣) - سورة يونس / ٤٧ .

(١٤٤) - سورة المنافقون / ٧ .

(١٤٥) - ينظر : تاريخ الطبري ، الطبري ،ج٣ :٢٨٩ . وينظر : مروج الذهب ، المسعودي ، ج٣ :١٧١ . وينظر : السيره النبوية ، ابن هشام ، ج٢ : ٢٩١ .

(١٤٦) - سورة البقرة / ٢٦٧ .

(١٤٧) - سورة إبراهيم / ٣١ .

(١٤٨) - ينظر تاريخ الطبري ، الطبري ، ج٣: ٢٨٩ . وينظر مروج الذهب ، المسعودي ، ج٣ : ١٧١ . وينظر : السيرة النبويه ، ابن هشام ، ج٢ : ٢٩١ .

(١٤٩) - سورة البقرة / ١٠٩ .

(١٥٠) - سورة البقرة / ١٢٠ .

(١٥١) - سورة البقرة / ١٩٠ .

(١٥٢) - سورة النفال / ٥٨ – ٥٩ .

(١٥٣) - ينظر : تاريخ الطبري ، الطبري ، ج٣ :٢٥١ . وينظر : السيره النبوية ، ابن هشام ، ج٢ :٢٨٩ .

(١٥٤) - سورة المائدة / ١٣ .

(١٥٥) - تفسير المنار : محمد رضا رشيد ، ج٥ : ٢٨٢ .

(١٥٦) - سورة الأنفال / ٦٠ .

(١٥٧) - سورة الأنفال / ٦١ .

(١٥٨) - ينظر في ظلال القرآن ، ج٥ ، ١١٣ .

(١٥٩) - سورة الأنفال / ٦٥ .

(١٦٠) - تفسير المنار ، الشيخ محمد رشيد رضا ، ج٧ ، ١١ .

(١٦١) - ينظر : محمد والقوى المضادة ، ٢٤٥ .

(١٦٢) - سورة البقرة / ١٩٣ .

(١٦٣) - ينظر : الأسلام بين غده وأمسه ، شاكر محمود قاسم ، المطبعة الانكلو مصرية ١٩٥٥ : ٣١ .

(١٦٤) - طبائع الاستبداد ، عبد الرحمن الكواكبي ، مطبعة عيسى البابي ط٢ ، مصر ١٩٥١ : ٢٠ .

(١٦٥) - ينظر : المصدر السابق : ٣١ .

(١٦٦) - ينظر : الأسلام بين غده وأمسه : ٣٣ .

(١٦٧) - ينظر : المصدر السابق : ٣٤ .

(١٦٨) - ينظر : المنار ، مجلد ٨ : ص ٢٦٩-٢٧٠، ١٦٩ ، والمجلد ٢ : ص ٩٨ ، والمجلد ١٠ : ص ٣٧٠ ، والمجلد ١١ : ص ٢٩٧

المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم

ابن منظور
لسان العرب

الناشر : نشر أدب الحوزة - قم - ايران - سنة الطبع : محرم ١٤٠٥.

ابن تيمية
مجموع الفتاوى(التفسير)
جمع ابن قاسم،
الناشر: دارعالم الكتب،الرياض- سنة الطبع: ١٤١٢هـ.

ابن قيم الجوزية
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء).
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

ابن قيم الجوزية
مدارج السالكين
طبعة دار الفكر - ١٤٠٨ هـ

ابن الجوزي
زاد المسير في علم التفسير
تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله-الطبعة : الطبعة الأولى-سنة الطبع : جمادى الأولى ١٤٠٧ - كانون الثاني ١٩٨٧ م الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

ابن الجوزي
الوجوه والنظائر
دار المعارف ط ٢

ابن كثير
تفسير القرآن الكريم
دار المعرفة ، بيروت

ابو الاعلى المودودي

المصطلحات الأربعة .

الطبعة الأولى بوالأعلى المودودي في سنة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١

أحمد بن حنبل

مسند أحمد

الناشر : دارصادر - بيروت - لبنان

احمد المختار

حياة المصطفى

مطبعة الكويت٩٧٩ ١

احمد محمد خلف الله

محمد والقوى المضادة

المكتبة الانكلو مصرية ١٩٧٣ .

الأزهري

تهذيب اللغة

حققه مجموعة من الأساتذة ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤ م .

ا لأشعري

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع

تحقيق الأب مكارثي- بيروت ١٩٥٣.

البخاري

صحيح البخاري

سنة الطبع : ١٤٠١ - ١٩٨١ م

الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

جلال الدين السيوطي

تفسير الجلالين

مطبعة الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣.

خالد محمد خالد

رجال حول الرسول

مطبعة المعرفة ، مصر ١٩٧٩

محمد سلام الغفار

الخباب بن الارت رجل من مدر س ة رسول الله

مطعة النهضة ، بغداد ١٩٨٥ : ٨١ .

الرازي

التفسير الكبير

الطبعة : الثالثة

دار إحياءالتراث العربي،بيروتط ٣، ١٤٢٠ هـ

سلمان عبد الملك

محمد رسول الله

دار الجيل ، مصر ١٩٨٢

سيد قطب

في ظلال القرآن الكريم

دار أحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٧

السيوطي

الدر المنثور

دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

شاكر محمود قاسم

الأسلام بين غده وأمسه

المطبعة الانكلو مصرية ١٩٥٥ .

الطبري

تاريخ الطبري

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

عبد الحليم محمود

التفكير الفلسفي في الأسلام

دار المعارف بيروت – ١٩٨٤.

عبد الرحمن الكواكبي

طبائع الاستبداد

مطبعة عيسى البابي ط٢ ، مصر ١٩٥١ .

عبد العزيز محمد سلمان

الكواشف الجلية في معاني الواسطية

رابطة العلماء الإسلامي، ط ٢.

عبد القهار داود عبد الله

تفسير القرآن الكريم

مطبعة الرشاد - بغداد .

ابن أبي العز الحنفي

شرح العقيدة الطحاوية

نشر دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

عبد الله خلف مخلوف

بلال الحبشي مؤذن رسول الله

مطبعة جامعة قطر ، ١٩٨١ .

عبد الملك السعدي

شرح العقائد النسفية

بغداد (١٤١٥- ١٩٨١) .

عبد الملك بن هشام

سيرة بن هشام

تحقيق مصطفى السقا ، البابي الحلي ، مصر

الفيروز آبادي

القاموس المحيط.

دار الجيل-بيروت

القاسمي

محاسن التأويل

ط دار الفكر - بيروت .

القرطبي

تفسير القرطبي

دار الاندلس ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٧

.

القرطبي

تفسير القرطبي

دار الاندلس ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٧

أبن تيميه

التفسير الكبير

المحقق: عبدالرحمنعميرة
دارإحياءالتراثالعربي،بيروتط ٣، ١٤٢٠ هـ
الماتريدي

كتاب التوحيد

مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٨٩هـ .

محمد الغزالي

المنقذ من الضلال

دار الكتب الحديثة – ١٩٨٣.

محمد حسين

الرسائل التوحيدية

دار العلم للملايين

محمد رشيد رضا

تفسير المنار

دار المنار – القاهرة ، ١٩٧٢م.

محمد رشيد رضا
تفسير المنار

دار الأندلس بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩ .

محمد عبد الله دراز

بحوث ممهدة لدراسة التاريخ

دار الأرقم – بيروت – ١٩٧١.

محمد هادي

تلخيص التمهيد

بيروت – دار الفكر (١٩٨٦) - ط١

المسعودي

مروج الذهب

دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)
مصطفى الشكعه

أسلام بلا مذاهب

الدار المصرية للطباعة.

مير علي الهندي

روح الأسلام

ترجمة محمود الشريف - القاهرة ١٩٦٢ م .